

نسبة الكتاب لسيبويه بين الإقرار والإنكار

Sibawayh's Al kitab ratio between affirmation and denial

إعداد:

أ. آلاء كاظم خلف

أ. د. رافد مطشر سعيدان

جامعة ذي قار / كلية التربية الإنسانية

Ms: Alaa Kazem Khalaf

Prof. Dr. Rafid Mutashar Saedan

Dhi Qar University / faculty of Education for Humanities

المستخلص:

يهدف البحث التعرف على طبيعة السجال بين بعض العلماء القدماء والمحدثين بخصوص المؤلف الحقيقي للكتاب. وبين البحث الآراء بشكل مفصل في هذا الأمر فأتضح بأن القدماء متفقون بأن الكتاب لسبويه ولم ينكروا هذه النسبة حيث لا يوجد أحد من العلماء من يشكك في هذه النسبة، وتكشف ذلك من خلال إظهارهم لمكانة الكتاب العلمية، وأما المحدثون فقد تابعوا القدماء في ذلك وإن كان بعضهم قد شكك في بعض أجزاء الكتاب لكنهم لم يشككوا في هذه النسبة. لكن ما يلفت الأنظار هو رأي د. هادي حيث انكر هذه النسبة جملة وتفصيلا فيرى بأن الكتاب للخليل بجمع سبويه فقد نفى نسبة الكتاب لسبويه نفيا قاطعا، وجاء بالأدلة التي تثبت هذا الأمر.

Abstract:

This topic is based on showing and scooping the true author of the book. And a review of the opinions and position of the ancients regarding the proportion of the alkitab, as well as the position and opinions of the modernists, as well as the position of Dr. Hadi is from this ratio.

The research showed the opinions in detail in this matter, so it became clear that the ancients agreed that the book belonged to Sibawayh, and they did not deny this ratio, as there is not one of the scholars who constitutes in this ratio, and this is revealed through their showing the status of the scientific book, so it is said that I rode the sea? What is meant by that is Sibawayh's alkitab, that is, glorifying it and making it difficult for what is in it.

As for the modernists, they followed the ancients in that, although some of them questioned some parts of the alkitab, but they did not question this ratio.

But what catches the eye is the opinion of d. Hadi, as he denied this attribution in whole and in detail, and believes that the alkitab belongs to Al-Khalil with the collection of Sibawayh.

المقدمة:

للغة العربية تاريخ عريق، وما زالت مستجيبة لمتطلبات العصر الحديث، وقد تهيأت لها أجيال من العلماء يدافعون عنها، ويحافظون عليها، ويسهرون على رقيها وازدهارها.

وفي العصر الحديث ظهر علماء عراقيون بذلوا جهوداً كبيرة لإعلاء شأن اللغة وتطويرها وقدمت عن جهودهم دراسات ورسائل جامعية.

فالدكتور هادي حسن حمودي أحد كبار علماء اللغة العربية ومرسّخ أصول المذهب التجديدي، فمؤلفاته حافلة بكثير من القضايا اللغوية والأدبية والنقدية واللسانية.

وإن الموضوعات التي تناولها د. هادي هو التساؤل حول نسبة الكتاب لسيبويه في كتابه (فصل الخطاب في جواب من ألف الكتاب؟).

من مشكلات البحث أنه من الصعب طرح هكذا موضوعات، فقد يثار الجدل حول هذا الموضوع، إذ إن هذا الأمر يُعدّ من المسلمات اللغوية وقد يكاد لا يعرف أحدهما إلا بالآخر، فالكتاب يعرف بأنه كتاب سيبويه، وسيبويه يعرف بأنه صاحب الكتاب، وعند نفي هذه النسبة أو إثارة الشك في النسبة. فإنه يثار جدل ورفض واسع حول هذا الموضوع.

واعتمد البحث على المنهج المعياري الذي يذكر ويستعرض آراء القدماء ومن ثم يذكر ويستعرض آراء الآخرين.

وبعد الخوض في دراسة هذا الموضوع توصلت إلى أنه لا يوجد أحد من القدماء قد أنكر نسبة الكتاب لسيبويه، وتابعهم المحدثون، ولكن عند الدكتور هادي قد نفى نسبة الكتاب لسيبويه في كتابه (فصل الخطاب في جواب من ألف الكتاب؟)، واعتمد على الأدلة النقلية مما هو موجود في نصوص الكتاب، وكذلك اعتمد واستدل على الشواهد التاريخية.

نستنتج مما تقدم أنه ليس هناك بأدلة جازمة تنفي الكتاب لسيبويه أو تنسبه للخليل، لكون الكتب التي تروى تحدث فيها إشكالات جمه لاسيما بشأن مسألة نسيبها، وعلى الرغم من ذلك فإن سيبويه دوراً مهماً في الكتاب.

سيبويه:

يعنى الباحث كثيراً بدراسة من يترجم له إذا كان من وراء هذه الدراسة نور يضيء جوانب البحث، أو يوضح نتيجة من النتائج، أو يفسر أثراً من الآثار، ولكننا نبحت في نسب "سيبويه" فلا

نجد شيئاً يُلقِي بصيصاً من الضوء على حياة أبائه بل لا نعرف من هؤلاء الآباء الاثنين هما "أبو عثمان"، وجده قنبر، و(قنبر) اسم عربي قُح.

أما أمه فكانت فارسية بدليل أنها لقبت أبنها هذا اللقب الفارسي الصريح الذي عرف به في التاريخ، وقد صار لقبه أشهر من اسمه وهو (عمرو)، وكنيته هي: (أبو بشر) ⁽¹⁾.

وأما مولده فلا سبيل إلى تحديد سنة ميلاده فقد أغفلها المؤرخون جميعاً، ولا محيص لنا من الغرض والتخمين للوصول إلى معرفة تلك السنة على وجه التقريب، ذلك أن التاريخ يذكر من أساتذة "سيبويه"، "عيسى بن عمر" الذي يكاد المؤرخون يجمعون على أنه توفي سنة تسع وأربعين ومائه، أما وفاته فقد وافاه الاجل بشيراز سنة 180 هـ ⁽²⁾.

ويقول ياقوت الحموي (ت 622 هـ) في كتابه (معجم الأدباء): (وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغاً، فإذا حسبنا لبلوغ سيبويه سنّ الرشد أربعة عشر عاماً، كان لنا أن نضع ميلاد سيبويه في العام الخامس والثلاثين بعد المائة) ⁽³⁾.

نسبة الكتاب لسيبويه:

كان لشهرة "سيبويه" وفضله بين الكتاب علماء عند النحويين فكان يقال: (قرأ فلان الكتاب)، أي كتاب "سيبويه"، فيعلم أن المقصود هو قراءة كتاب "سيبويه"، فيقول له: هل ركبت البحر؟ أي تعظيماً له واستصعاباً لما فيه، كما إن من الملاحظ أنه لا يوجد أحد من العلماء يشكك في نسبة الكتاب ل"سيبويه"، ونكتشف ذلك من خلال إظهارهم لمكانته العلمية ⁽⁴⁾.

وكان "المازني" (ت 249 هـ) يقول: من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب "سيبويه" فليستح ⁽⁵⁾.

وقال "الأخفش سعيد بن مسعدة" (ت 215 هـ): كان "سيبويه" إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه علي وهو يرى اني أعلم منه - وكان أعلم مني - وأنا اليوم أعلم منه ⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ينظر: سيبويه حياته وكتابه، أحمد بديوي: 9، مؤسسة هنداوي، 2019.

⁽²⁾ ينظر: مرجع سابق: 10.

⁽³⁾ معجم الأدباء: ياقوت الحموي: 68/1، دار الغرب الاسلامي، ط 1993، م.

⁽⁴⁾ ينظر: سيبويه حياته وكتابه، أحمد بديوي: 16.

⁽⁵⁾ ينظر: طبقات النحويين اللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي: 66، دار المعارف، 1984.

⁽⁶⁾ ينظر: مرجع سابق، ص 67.

موقف القدماء:

جاء في كتاب أخبار البصريين أنَّ "سيبويه" أخذ النحو عن "الخليل" وهو أستاذه، وعن "يونس"، و"عيسى بن عمر" وغيرهم، وأخذ أيضاً اللغات عن "الأخفش"، وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده (1).

وإن دل هذا على شيء فهو يدل على عدم التشكيك في نسبة الكتاب "لسيبويه"، وإن لم يظهر في حياته ولم يقرأه عليه أحد ولكنه لما مات قُرأ على "أبي الحسن الأخفش" (ت 215 هـ) وكان ممن قُرئ عليه أبو "عمر الجرمي" (ت 225 هـ) وأبو "عثمان المازني" (2).

يقول ابن "الأنباري" (ت 517 هـ) وكان "الأخفش" تلميذ "سيبويه" وهو أسن منه وهو الطريق: إلى كتاب "سيبويه"، إذ لا نعلم أحداً قرأه على "سيبويه"، وما قرأه "سيبويه" على أحد، وإنما عندما توفي "سيبويه" قُرأ الكتاب على "أبي الحسن الأخفش" وكان ممن قرأه عليه أبو "عمر الجرمي"، وأبو "عثمان المازني"، ويُقال: أن أبا "الحسن الأخفش" عندما رأى أن الكتاب (كتاب سيبويه) لا نظير له في حسنه وصحته كما إنه جامع لأصول النحو وفروعه، لذا قد أتحسنه كُـل الاستحسان فيقال: إنَّ أبا "عمر الجرمي"، و أبا "عثمان المازني" قد توهما أن أبا "الحسن الأخفش" قد هم أن يدعي الكتاب لنفسه فقال حينها أحدهم للآخر: كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنع "الأخفش" ادعائه؟ فقال له: نقرأه عليه فإذا قرأناه عليه أظهرناه واستعانا به إنه يعود إلى "سيبويه" وبعد ذلك لا يمكنه الادعاء بنسبه إليه (3).

وقد كان أبو "عمر الجرمي" مؤسراً وأبو "عثمان المازني" مُعسراً، فأرغب أبو "علي الجرمي" حينها أبا "الحسن الأخفش" وبذل قبال ذلك شيئاً من المال على أنه يقرأه وأبا "عثمان المازني" الكتاب، فأجابه على ذلك وشرعا في القراءة عليه وأخذ الكتاب عنه، وقد أظهر أنه "لسيبويه" وأشاعا ذلك، وبذلك لم يتمكن "أبو الحسن" من أن يدعي أن الكتاب تعود نسبته إليه، فكان السبب في إظهار إنه "لسيبويه" وبذلك لم يُستند الكتاب إلى "سيبويه" إلا بطريق "الأخفش" (4)، وإن هذه الرواية تدل على أنَّ

⁽¹⁾ ينظر: أخبار النحويين البصريين، الحسن بن عبد الله السيرافي: 37، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، الطبعة الاولى، 1374هـ/1955م.

⁽²⁾ ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري: 120، مكتبة المنار، ط3، 2008.

⁽³⁾ ينظر: نزهة الالباء في طبقات الادباء: 121.

⁽⁴⁾ ينظر: مرجع سابق: 120.

الراوي الوصي لكتاب "سيبويه" هو "الأخفش" ويعرف منها أن هناك الكثير من الناس كانوا على علم بتأليف "سيبويه" لهذا الكتاب (1).

كيف يقال إنَّ "الأخفش" قد ادعى نسبة الكتاب إليه و هو الذي شرّع في قراءته، فضلاً عن أنه يعدّ السبب في معرفة نسبة الكتاب "لسيبويه"؟

موقف المحدثين:

بالإضافة إلى موقف القدامى من نسبة الكتاب إلى "سيبويه" فكان للمحدثين دورٌ في ذلك، إذ تابعوا على ما كان عليه القدماء ولم يشككوا في نسبة الكتاب إلى "سيبويه"، فكان البعض منهم يرى بأن بعض أجزاء الكتاب معروفة والبعض الآخر لا، فالدكتور "أحمد بديوي" يرجح في إن البعض من أجزاء الكتاب كان معروفاً، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فإنهم قد أقرّوا بنسبة الكتاب "لسيبويه" وأقرّوا بمكانته العلمية، كما إن "لسيبويه" الدور البارز في الشعر، إذ أن من أجزاء الكتاب المعروفة بعض ما أستهشد به من الشعر مستنداً إلى الرواية القائلة: (إن الأصمعي وجه بعض الأشعار غير توصيه سيبويه مما أضطر سيبويه إلى مناظرته فيه)، أي إن الكتاب لم يكن معروفاً بالكامل، لكن هذا بدوره لا يشكك من وجود الكتاب ونسبه "لسيبويه" (2).

تقول الدكتورة "خديجة الحديثي": (قد جمع سيبويه أكثر من علم في العلوم العربية في كتابه كالنحو والصرف والأصوات العربية وغيرها، وقد أعتمد في هذه الموضوعات على مصادر سبقته؛ لأنه من المستبعد أن يظهر كتاب يضم كل هذه الموضوعات في غير أن تكون قد سبقته هناك محاولات) (3).

ثم بعد ذلك تذكر ما قيل عن "سيبويه"، بأنه أعتمد على كتابي (الأعمال) و(الجامع) "لعيسى بن عمر"، لكنها تستدرك هذا الأمر بأن هذين الكتابين لم يصلنا إلينا لنرى مقدار استفادة "سيبويه" منهما واعتماده عليهما، ومهما يكن من شيء فإنها تقرّ بأن الكتاب هو ثمرة الجهود التي بذلت قبله والأبحاث التي قام بها العلماء والمؤلفون (4).

¹ ينظر: سيبويه حياته وكتابه: 27.

² ينظر، سيبويه حياته وكتابه: 29.

³ ينظر، أبنية الصرف العربي في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي: 63، نسخة الكترونية، 2009.

⁴ ينظر، مرجع سابق: 64.

على الرغم من ذلك فإن "الحديثي" لا تتكرر نسبة الكتاب "لسيبويه" بل تؤكد أن الكتاب عائد له، وإن المقصود من كلامها السابق هو أنَّ "سيبويه" أستطاع أن يجمع ما تفرق من الكتب السابقة ومن ثمَّ يضمه ويضيف إليه ما توصل من استنتاجات بنفسه وما سمعه عن أستاذه والعرب الذين كانوا موثوق بلغتهم، وأشهر الذين نقل عنهم: "الخليل بن أحمد"، "يونس بن حبيب"، "الأخفش"، "عيسى بن عمر"، "وبن العلاء"، "عبد الله ابن ابي إسحاق"، "الأصمعي"، أبو "زيد النحوي" (1).

استناداً إلى تحليل الدكتوراة أعلاه، يتبادر إلينا إن الكتاب ما كان إلا استنتاجاً مما قرأ "سيبويه" من كتب بتنظيم وتنسيق منه مع الإضافة عليها، ومع ذلك تقر بأن الكتاب عائد له، فكيف يحدث ذلك حتى الآراء الحديثة للنحويين نجدها متقاوطة ومتناقضة ما بين تأييدهم نسبة الكتاب "لسيبويه" أو نفي ذلك.

أي أنها (الحديثي) ترى أن "سيبويه" وإن كان قد أعتمد على الجهود التي سبقته فهذا لا ينفي نسبة الكتاب إليه فهي لا تشكك في هذه النسبة أبداً

إلا أنَّ الأمر مختلف عند الدكتور "مهدي المخزومي" والدكتور "هادي حسن"، إذ كانت كتاباتهم تحتوي على نوع من الجرأة، في طرحها، فالدكتور "المخزومي" ينفي نسبة الكتاب لسيبويه فهو يرى بأن الكتاب الذي جمعه سيبويه كان بن "الخليل" وكانت أبوابه هدفاً للمدعين الحاسدين فقد فسوه عليه وأرسوا مزاعمهم لتشكيك الدارسين بقيمة العمل العلمي الكبير الذي أنجزه الخليل (2).

منهج مهدي المخزومي في نفي نسبة الكتاب لسيبويه

نفي "المخزومي" نسبة الكتاب "لسيبويه"، لأن الكتاب برمته كان نتيجة جمع لا تأليف، "فسيبويه" عند "المخزومي" قد جمع الكتاب من "الخليل" الجزء الأكبر منه والبقية من الأساتيد الذين تتلمذ على يدهم آنذاك.

بعد ذلك ينتقل إلى تنفيذ قول أبي "جعفر الرؤاسي" (ت187هـ) الذي يقول: (أرسل الخليل إلى كتابي فوضع كتابه عليه) (3).

¹ ينظر، أبنية الصرف العربي في كتاب سيبويه: 64.

² ينظر: الفراهيدي عبقري البصرة، د. مهدي المخزومي: 79، نسخة الكترونية، 2010.

³ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 56.

"فالمخزومي" يصف قول "الرؤاسي" ويتهمه بالعصبية القبلية، ويذكر كذلك بأنه قد بحثا عن كتاب (الجامع) المنسوب إلى "الرؤاسي" فلا نجد له أثراً⁽¹⁾

فنستنتج أنّ الدرس النحوي عند "الخليل" هو الذي عرفتُهُ العصور المتعاقبة، وأن الكتاب هو كتاب الخليل جملةً وتفصيلاً، وعن "الخليل" أخذ أعلام الدرس أئمة النحاة، وعن مجلس الخليل نشأ أيضاً المذهبان النحويان الكبيران (البصري والكوفيّين) وقد استخرج "الخليل" أمام أهل البصرة والكوفة أيضاً فإذا اختلف المذهبان في المسائل والفروع فقد اتفقا في المسائل والأمور الأساسية التي يتألف منها نحو "الخليل"⁽²⁾.

• موقف الدكتور هادي:

نفى الدكتور "هادي" نسبة الكتاب "لسيبويه" نفياً قاطعاً، كما أنه قد اختلف مع "المخزومي" بهذا الشأن، كون أن الدكتور "هادي" قد جاء بأدلة عديدة تُنفي نسبة الكتاب "لسيبويه"، على العكس من "المخزومي"، و من الأدلة التي جاء بها د. "هادي"، من أن أسلوب الكتاب أسلوب محاضرات من غير استعداد سابق، لا أسلوب كتاب مؤلف بتخطيط معتمد. ففي كثير من المواضع نلاحظ تكرار ما هو من طبيعة المحاضرات لا من طبيعة التأليف، "والخليل" أجلّ من أن يضع كتاباً بهذا الارتجال الذي سببه أن معظمه مبني على سؤال من "سيبويه" وجواب من شيخه "الخليل"، وبعضها يبتدئ به "الخليل" ثم يعنّ "لسيبويه" ما يعن من أسئلة يجيبه عليها. وبذلك فإن دور "سيبويه" هو دور المتلقي لإملاء شيخه والمدون له. ولا أصدق أنه كان يحفظ ما يقوله شيخه ثم يذهب إلى بيته فيؤلف الكتاب مستقيداً مما سمع. ولا نعرف عن "سيبويه" أن له ذاكرة تسجيلية كمسجلات هذه الأيام⁽³⁾ وغيرها من الأدلة الكثيرة التي ذكرها د. "هادي" بهذا الشأن.

وينسب ذلك من خلال قوله: غير أن تفحص الأسماء، ودراستنا لما جاء في كتاب سيبويه يجعلنا نشك في إنه قد أخذ عن هذه الأسماء جميعاً وذلك بأن بعضهم لم يعاصر "سيبويه"، بل توفي قبل أن يطرأ "سيبويه" إلى البصرة، "فالأخفش" الأكبر وإن لم تُعرف سنة وفاته بشكلٍ دقيق، إلا إنهم وصفوه بأنه كان إماماً في العربية، وقد تلمذ لأبي "عمرو بن العلاء" ومن هم في طبقتهم، وأبو "عمرو

⁽¹⁾ ينظر: الفراهيدي عبقرى البصرة: 80.

⁽²⁾ ينظر: مرجع سابق: 93.

⁽³⁾ فصل الخطاب في جواب من ألف الكتاب، هادي حسن حمودي: 7، كتاب الكتروني منشور على شبكة الانترنت، 2017.

بن العلاء" الذي توفي في الكوفة (سنة 154هـ) لم يذكر أن "سيبويه" قد التقى به، كما أنه حين توفي لم يكن "سيبويه" قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره إن لم يكن أقل من ذلك⁽¹⁾.

وشكك أيضاً فيما ذهب إليه بعض الكتاب إلى أن "سيبويه" قد أخذ كتاب الآخرين هم: "الأخفش الأكبر"، "يعقوب بن إسحاق الحضرمي القارئ"، "عبد الله بن زي الحضرمي"، "عيسى بن عمر الثقفي"، "يونس بن حبيب الضب"، و"أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري"⁽²⁾. أي أن "سيبويه" لم يولد حينها مستدلاً على ذلك من خلال ما يذكره المؤرخون بأن "سيبويه" توفي وهو مازال شاباً، أي إنه لم يصل إلى الأربعين من عمره، ولما كانت وفاته (سنة 180 هـ)، فذلك يدل على إن ولادته لم تكن قبل سنة (140 هـ) على أية حال من الأحوال⁽³⁾. إذ يكون قد توفي وله من العمر أربعون عاماً، وهو عمّر على الرغم من عدم عدّه من سنوات الشباب البحتة، إلا إن دكتور هادي قد أخذ به كأقصى حد مُحتمل للمدة التي عاش فيها "سيبويه"، بل إنه يميل إلى الاقتناع بأنه ولد بعد سنة (145 هـ)؛ لأن هذا التاريخ لوفاته باعتقاد د. هادي يتلاءم مع قول المؤرخين إنه توفي شاباً في سنة (180هـ)⁽⁴⁾.

ويُشكك الدكتور "هادي" أيضاً بتلمذة "سيبويه" "لعيسى بن عمر"؛ إذ إن "عيسى بن عمر" قد كف بصره في أواخر حياته وأعتزل التدريس وتوفي في سنة (149 هـ) أي حين كان "لسيبويه" تسع سنين من العمر أو أقل من ذلك⁽⁵⁾.

ويذكر الدكتور "هادي" بأن مما يؤكد أن "سيبويه" قد ولد بعد سنة (145 هـ)؛ إن المؤرخين ذاتهم يقولون إنه أخذ على "أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري" الذي توفي في سنة (215 هـ) ولا ريب في إن "أبا زيد الأنصاري" كان قد وصل إلى مرحلة الأستاذية حتى يستطيع الطلاب أن يأخذوا عنه ولا يظن بأن ذلك كان متاحاً له قبل سنة (165 هـ) على افتراض صحة قولهم إنه قارب المائة، أي إنه ولد في سنة (135 هـ) أو قريب منها⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ينظر: فصل الخطاب في جواب من الف الكتاب: 8.

⁽²⁾ ينظر: مرجع سابق: 8.

⁽³⁾ ينظر: مرجع سابق: 9.

⁽⁴⁾ ينظر: مرجع سابق: 9.

⁽⁵⁾ ينظر: طبقات النحويين اللغويين: 66.

⁽⁶⁾ ينظر: الفراهيدي، عبقرى البصرة: 72.

ومن جهةٍ أخرى فلا بُد أن "سيبويه" قد وصل إلى سنٍ يؤهله للأخذ عن "أبي زيد الأنصاري"، غير أنه لم يذكر أبا زيد في (الكتاب) وإن الأمر قد تبين في الأول بلفظ (قال أبو زيد) والآخر يقول (أبو عمرو: قال أبو زيد)⁽¹⁾.

كما إنه هناك سبب عند الدكتور "هادي" يدفعه إلى الشك في تلمذة "سيبويه" لبعض أولئك العلماء؛ وذلك لأنه هاجر إلى بغداد في عصر "هارون الرشيد"، وانقطعت علاقة "سيبويه" بالبصرة وعلمائها، وعند سنة (170 هـ) طلب "سيبويه" أن يناظر الكسائي في حضرة الرشيد، وكانت نتيجة هذه المناظرة بين سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية^(*) كما لم تطب الإقامة "لسيبويه" في بغداد فغادرها إلى الأهواز ومات فيها أيضاً وكان ذلك في حدود سنة (180 هـ).

وهذا يعني إن بقاءه في البصرة لا تتجاوز العشرين عاماً بأية حال من الأحوال على افتراض إنه وصل إليها في حوالي سنة (150 هـ) وهو حينها لم يتجاوز العقد الأول من عمره⁽²⁾.

يستخلص من ذلك إن الدكتور "هادي" قد أراد من ذلك كله أن يُثبت بأنه في هذه الحالة سيكون من المستحيل على "سيبويه" أن يأخذ عن أولئك العلماء جميعاً وإنما الثابت من ذلك بأنه (سيبويه) أخذ عن "الخليل" ولازم مجالسة وهناك شواهد على أنه أخذ عن "يونس بن حبيب"، وأما الآخرون فليس من شاهد يدل على تلمذته لهم⁽³⁾.

فضلاً عن الأدلة التي قدمها الدكتور "حمودي" ونحن نرى بأنها أقرب إلى الصواب؛ لواقعيتها تاريخياً. إلا أننا نجد أن الدكتور لم يعثر أو يستند على أسباب ثابتة تُمكنه من اليقين على نسبة الكتاب "لسيبويه" من عدمها.

⁽¹⁾ ينظر: فصل الخطاب: 11.

^{*} ينظر: المسألة الزنبورية: تعد هذه المسألة من أشهر المناظرات في تاريخ علم النحو جمعت بين إمامين عظيمين (عالم النحو سيبويه وشيخ القراءات الكسائي) وقال قولهم: (كنت أظن الزنبور أشد لسعة من العقرب فإذا هو هي وإذا هو إياها). فقال سيبويه (إذا هو هي) وقال الكسائي (إذا هو إياها) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: 2 / 702 ، ومغني اللبيب: 93/1 ، وآمالي بن الحاجب: 874/2.

⁽²⁾ ينظر: طبقات النحويين اللغويين: 23.

⁽³⁾ ينظر: كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون: 1 / 24، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1412هـ/1992م.

فالدكتور "هادي" مقتنع تماماً بأنه لا دليل على الاحتمال الذي يقول: بأن الكتاب من تأليف "سيبويه" وأنه ضمنه آراءه النحوية إلى ما رواه عن شيخه الخليل وعن الشيوخ والرواة الآخرين⁽¹⁾.

الأسلوب الذي استخدمه الدكتور "هادي" من تحقيقه لنسبة الكتاب، نجده أسلوباً قطعياً على الرغم من انعدام الأدلة الثابتة التي تؤيد نفي الكتاب لسيبويه، فنحن لا نذهب مع الأسلوب القطعي الذي استخدمه الدكتور من تحليله وأن كان يستند على أدلة تاريخية؛ فما زال البحث بحاجة إلى مزيد من الأدلة التي تؤيد الجزم بعدم تأليف سيبويه للكتاب، مثل شهادات العلماء القدماء.

• الأدلة التي تنفي نسبة الكتاب لسيبويه:

إنّ للدكتور "هادي" أدلة وشواهد يثبت فيها أنّ (الكتاب) هو "للخليل" وذلك برواية "سيبويه"، فضلاً عن الأول والبراهين التي تدل على صحته إثبات هذا الأمر ، إذ يدخل إلى هذه المسألة من مدخلين وهما⁽²⁾:

المدخل الأول: يتمثل هذا المدخل بتلك الشواهد التي يعني بها المؤلف ما ذكره المؤرخون وعلماء النحو وتتمثل هذه الشواهد بشيء من الملاحظات:

1. يذكر المؤلف ما جاء في كتاب طبقات النحويين واللغويين بأنه: (لما مات سيبويه قيل "ليونس": أنّ "سيبويه" ألف كتاباً من ألف ورقة في علم "الخليل"، فقال "يونس": ومتى سمع "سيبويه" من "الخليل" هذا كله، انتوني بكتابه، فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى، قال: (يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه عني)⁽³⁾.

يستنتج الدكتور هادي من ذلك بأن الكتاب في علم الخليل وقد كتب سيبويه من ذلك العلم (ألف ورقة) بعد ذلك يتساءل د. "هادي" بأنه إذا كانت المحفوظات اليوم مجودة للكتاب ما بين مائتي ورقة وثلاثمائة وخمسين ورقة فأين بقية الألف من ذلك؟⁽⁴⁾.

إن عدد صفحات الكتاب (سواء بعددهم الكثير أم القليل) الذي يستند عليه الدكتور حمودي تعني أمرين:

⁽¹⁾ ينظر: فصل الخطاب: 9.

⁽²⁾ ينظر: فصل الخطاب: 10.

⁽³⁾ ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 23.

⁽⁴⁾ ينظر: فصل الخطاب: 10.

أ- أما إن "سيبويه" كان قد ألف الكتاب كبيراً كما هو معروف عرفاً لا دليلاً، ومن ثم بعد ذلك استخلص منه ما رآه ينفع نحوياً.

ب- أو إن الكتاب برمته لم يكن سوى ملاحظات دونت عن المحاضرات و الدروس التي كان يحضرها عن أساتذته مع مجموعة التلاميذ الآخرين.

كما يعنقد الدكتور "هادي" بأن المخطوطات الموجودة اليوم لا تصل إلى النصف من الكتاب آنذاك مع الأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات التي طرأت على الكتابة منذ ذلك الحين وإلى لحظتنا هذه، وبذلك فيرى د. حمودي أنه برمته عائد إلى "الخليل" وليس "لسيبويه" (1).

وهنا يتساءل الدكتور "هادي" هل هناك ما هو أصرح من ذلك بأن الكتاب "للخليل" وليس "لسيبويه" ؟ كما أنه يذكر بأن الخليل كان يملئ على تلامذته جميعاً بكتابة ما يملئ عليه في جلساته بما فيهم "سيبويه"، ومن الطبيعي أن يطبق التلميذ بعض الأشياء كالمعلومات على درس أستاذه (2).

2. ومن الأدلة التي جاء بها الدكتور "هادي" والتي تدل على نفي نسبة الكتاب لسيبويه هو (أسلوب الخطاب في الكتاب) فالأسلوب المستخدم في الكتاب من وجهة نظر د. "هادي" هو أسلوب شيخ في النحو وليس طاليا فيه ولا يمثل أسلوب مؤلف يوجه إلى قراءه؛ إذ إنَّ الأسلوب الخطابي واضح فيه. فكان يكثر فيه استعمال كان الخطاب، وفعل الأمر (اعلم) فضلاً عن تكرار عبارة (من قبل) في نصوص "الخليل" وحواره مع "سيبويه"، وبهذا فيدل على كثرة مفرطة في صفحات الكتاب مما يدل على خطاب موجه لتلميذ من شيوخه (3).

نؤيد الدليل الذي جاء به د. "هادي" هنا؛ كون الألفاظ التي أشار إليها تستخدم من أستاذ لتلاميذه وكذلك كانت بأسلوب روائي عن شخص أسبق منه بالوجود.

وهناك ثمة ألفاظ يستدل بها د. "هادي" على أن "سيبويه" يتدخل في النص "الخليل"، مما يشير ذلك إلى كون الكتاب هو "للخليل" بأصوله وفروعه، وإن تدخل "سيبويه" في ذلك لا يجعل منه كاتباً للكتاب (4).

(1) ينظر: فصل الخطاب: 11.

(2) ينظر: مرجع سابق: 13.

(3) ينظر: مرجع سابق: 15.

(4) ينظر: الكتاب: 3 / 224.

3. ويضيف د. "هادي" أنَّ السياق الذي كُتب فيه هو سياق محاضرة وحوار وليس سياق كتابٍ يؤلف، وذلك لكثرة استخدامه لفظ (اعلم) وعلى الرغم من ذلك فإن "سيبويه" لم يوضح من المخاطب في ذلك، ولكنه حين يقول (فقلت) فدلّت هذه اللفظة على المحاورة ما بين الشيخ وطالبه، وهنا قد صرح باسمه (ألا ترى أنَّك تقول: والله لأفعلنَّ و والله لأفعلنَّ، فتضل واور العطف عليها كما تدخلها على الباء، والتاء ، قلتُ "للخيل": فكم لا تكون الأخريات بمنزلة الأولى؟ فقال.... الخ (1).

فضلاً عن ذلك فإن في الكتاب محاوراتٍ عدة جرت ما بين "سيبويه" و"شيخه" "الخيل"، والبعض منها ما بين الخيل ومجموعة من تلاميذه مما يؤكد أنَّ أصل الكتاب هي محاضرات ألقاها الخيل على تلاميذه بما فيهم تلميذه سيبويه، إلا أنَّ سيبويه تجنب الإشارة إلى الخيل في طوايا الباب مكتفياً بما سبق أن عرف من أنَّ الكتاب برمته هو في علم الخيل، ولكن أحياناً يذكر "سيبويه" في آخر الباب أن ما مر ذكره كله للخيل (2).

4. أما في أبواب الصرف فيشير د. "هادي" بأن ما يلفت النظر أنَّ تلك الأبواب وبعد أكثر من مئة صفحة من بدايتها لا يُذكر فيها "الخيل" إلا مرة أو مرتين حتى يصل إلى الصفحات الأخيرة من الجزء الرابع فيلاحظ أن كل ما سبق هو محاضرات للخيل، إذ يبدأ في الصفحات الأولى حوار بين الشيخ وتلميذه يُشار فيه إلى جميع المسائل التي تم التطرق إليها في تلك الصفحات التي تتجاوز المئة (3).

وأخيراً يشير د. "هادي" أنَّ هناك تباين بين أسلوبَي "الخيل" و"سيبويه" لا سيما في وصف حروف الجر المثبتة في الكتاب، إذ إنها من اجتهاد "سيبويه"؛ لأنه يختلف عن وصف الخيل للحروف ذلك الوصف الذي ثبت في أول كتاب العين، فيتساءل هنا د. "هادي" هل اختلف الوصف الوارد في (الكتاب) عن الوصف الوارد في (العين) ؟ بعد ذلك يجيب د. "هادي" على هذه المسألة بقوله: بعد دراسة متأنية لما جاء في الكتابين يتضح أن معظم ما جاء فيها متطابق إلى حدٍ ما مع اختلافٍ يسير بسبب طبيعة الموضوع ذاته (4).

¹ ينظر: الكتاب: 3 / 623.

² ينظر: أساليب التعبير عند الخيل، د. هادي حسن: 1 / 39، دار الكتب العلمية، 2012م.

³ ينظر: مرجع سابق: 1/ 49.

⁴ ينظر: أساليب التعبير: 42.

وعلى الرغم من جميع ما تقدم من أدلة تنفي نسبة الكتاب إلى "سيبويه" إلا أن د. "هادي" لا ينسى الدور المهم لسيبويه في الكتاب فيقول: والحق أن تقرر أن "سيبويه" إضافة إلى دور الرواية والتدوين إضافات هنا وهناك ربما أدخلها على النص حين نهض⁽¹⁾.

الخاتمة:

كانت دراستنا المعنونة بنسبة الكتاب لسيبويه بين الأقرار والإنكار، والذي هو عبارة عن تحقيق كتاب سيبويه، ومعرفة مؤلفه الحقيقي فيما إذا كان لسيبويه أم لغيره، حيث أستعرضنا آراء القدماء والمحدثين، وكذلك تطرقنا بشكل مفصل لرأي الدكتور هادي حسن وماثيره حول هذه المسألة في كتابه (فصل الخطاب في جواب من ألف الكتاب ؟) نستنتج مما تقدم أنه ليس هناك بأدلة جازمة تنفي الكتاب "لسيبويه" أو تنسبه "للخليل"؛ لكون الكتب التي تروى تحدث فيها إشكالات جمة لا سيما بشأن مسألة نسبتها وعلى الرغم من ذلك فإن شئنا أو أبينا أن "لسيبويه" دوراً مهماً في الكتاب.

النتائج:

بعد الخوض في دراسة هذا المبحث تبين الاتي:

- 1- لم يوجد أحد من القدماء قد انكر نسبة الكتاب لسيبويه.
- 2- المحدثون أيضاً لم ينكروا هذه النسبة.
- 3- نجد الدكتور هادي قد شكك ونفى نسبة الكتاب لسيبويه.
- 4- اعتماد د0 هادي على الأدلة النقلية كما هو مذكور في الكتاب.
- 5- وكذلك استدل و أعتد على الشواهد التاريخية.

قائمة مصادر والمراجع

- محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، طبقات النحو بين اللغويين، دار المعارف، 1984.
- أحمد بديوي، سيبويه حياته وكتابه، مؤسسة هنداوي، 2019.
- محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، طبقات النحو بين اللغويين، دار المعارف، 1984.
- الحسن بن عبد الله سيرافي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، أخبار البصريين اللغويين، 2016.
- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مكتبة المنار، مج1، ط3، 2008.
- خديجة الحديثي، أبنية الصرف العربي في كتاب سيبويه، 2009.

⁽¹⁾ ينظر: مرجع سابق: 43.

- د. مهدي المخزومي، الفراهيدي عبقرى البصرة ، نسخة الكترونية، 2010.
- د. هادي حسن حمودي، فصل الخطاب في جواب من ألف الكتاب، 2017.
- د. هادي حسن حمودي، أساليب التعبير عند الخليل، دار الكتب العلمية، 2012م.
- : ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1993م